﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس: 96]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا بـيَّن جـزاءَ المشركين؛ أزدَفَهُ بالعلَّةِ المانعةِ بالأصلِ

لمّا عرَّضَ إلى المشركين بأنَّهم أهلُ شكٍّ، وأنَّ عاقبَة ذلك الخسرانُ المبينُ، "أعقبَ ذلك بأنَّهم من زمرَةِ الفِرَقِ الذين حقَّتْ عليهم كلمةُ اللّه ألّا يؤمنوا، فَهُمْ لا تُجدي فيهم الحُجَّةُ؛ لأنَّهم أهلُ مكابرةٍ"(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَقَّتْ﴾: أصلُ (حقَّ): يدلُّ على إحكام الشَّيءِ وصحَّته(2)، يُقال: حَقَّ الشَّيْءُ، يحِقُّ، حَقًّا؛ إذا ثَبَتَ ولَزِمَ(3). ويأتي الحَقُّ بمعنى الصَّحيح، وضِدُّهُ: الباطِلُ(4). والحَقيقَةُ: الشَّيْءُ الصَّحيحُ يَقينًا(5). وتَحَقَّقَ الأمْرُ؛ إذا صَحَّ. والمرادُ بـ ﴿حَقَّتْ﴾ في الآية: ثبَتَتْ(6).

2) ﴿كَلِمَتُ﴾: أصْلُ الكَلام: النُّطْقُ المَفْهومُ، يُقالُ: كَلَّمَ يُكَلِّمُ تَكْليمًا وكلامًا، أيْ: نَطَقَ نُطْقًا مَفْهومًا، وقيلَ: أصْلُ الكلام مِنَ الكَلْم: وهوَ الجُرْحُ والشَّقُّ؛ لِأنَّهُ يَشُقُّ الأسْماعَ بِوُصولِهِ إلَيْها(7)، وقيلَ: لِأنَّهُ يَشُقُّ المَعاني، والكَلِمَةُ القَضيَّة، فكلُّ قضيَّة تُسمَّى: كلمةً، سواء كان ذلك مَقالًا أو فعالًا(8)، والمُتَكَلِّمُ: النَّاطِقُ، والكَلِمُ أيْضًا: القَوْلُ واللَّفْظُ، وقيلَ: الكَلِمُ لا يَقِلُّ عَنْ ثلاث كَلِماتٍ، والكلامُ يَشْمَلُ القَليلَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/286، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/207، والنيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/613.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حق).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة: (حق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حق).
(5) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط: (حق).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/287.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كلم).
(8) الرّاغب، المفردات: (كلم).

والكَثيرَ، والمرادُ بقوله: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ في الآية: قضاؤُه وحكمُه الَّذي أوجبَه، وأوقعَه عليهم[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخاطِبُ اللّه تعالى نبيَّه ﷺ قائلًا له: إنَّ الَّذين وجبَت عليهم كَلِمةُ رَبِّك - يا محمد ﷺ - بأنَّهم يصيرونَ إلى ما قدَّرَه اللّه لهم من الاستمرارِ على الكُفرِ والموتِ عليه؛ لا يُؤمِنونَ إيمانًا ينفَعُهم قبل مَوتِهم؛ لرسوخِهم في الكفرِ والطُّغيانِ، وإحاطةِ خطاياهم بهم، وإعراضِهم عن آياتِ اللّه الَّتي خلقها في الأكوانِ، بما يُرشدُ إلى وحدانيَّتِه وكمالِ قُدرتِه[2].

مَن لم يأخذْ بأسبابِ الهدى، ولم يتبصَّر بالنّور؛ فلن يهتدي، ولن يستنير

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآيةِ:

الجملةُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مستأنفةٌ، فهي "شروعٌ في بيان سرِّ إصرارِ الكفرةِ على ما همْ عليه من الكفرِ والضَّلالِ، أي: ثبتتْ ووجَبتْ بمقتضى المشيئةِ المبْنيَّةِ على الحكمةِ البالغة"[3].

الحكمُ بالاستحقاقِ يكون على وفْقِ القدرةِ والاستعدادِ

توجيهُ الافتتاحِ بالتَّوكيدِ بـ (إنَّ):

افتتح النَّظمُ الجليل قولَه جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بـ (إنَّ) الدالَّةِ على التَّأكيدِ للدَّلالة على "التَّحقيقِ، أي: لا شكَّ أنَّ هؤلاء مِن أولئك، فقدِ اتَّضحَ أمرُهم واليأسُ من إيمانِهم"[4]، فإنَّ اللّه تعالى بعلمِه الغيبَ ساقَ الخبرَ على وجهِ التَّأكيدِ، فيؤكِّدُ "سبْحانَه أنَّ الَّذين ثبتتْ عليهم كلمةُ اللّه تعالى

علْمُ اللهِ الغيبَ مؤكَّدٌ قاطعٌ

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1083.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/290، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/296، والشوكانيّ، فتح القدير: 2/538، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 374، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/155.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/175.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/287.

أنَّهم في سجلِّ الكافرين، لا يؤمنون، ولو جاءتْهم كلُّ آيةٍ، ولو كانتْ ممّا يطلبون، أي: لو تضافَرتِ الآياتُ معجزاتٍ كلُّها، وجاءتْ مجتمعةً لا يؤمنون، وأقربُ القولِ أنْ يقولوا: سُحِرَتْ أعْيُنُنا، فالجحودُ ملازمٌ لهم، لا يُزايلُهم أبدًا"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

ثبوتُ انتفاءِ إيمانِهم، استحقاقٌ لإظهارِ تكذيبِهم

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عبَّر عن المذكورين باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للدَّلالةِ على معهودينَ[2]، والعهدُ ذِكريٌّ؛ فقد تقدَّمَ ذكرهُم في قولِه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، فالَّذينَ حقَّتْ عليهم الكلمةُ هم الذين كذَّبوا بآياتِ اللّه تعالى، فكانوا من الخاسرين.

إيثارُ لفظِ ﴿حَقَّتْ﴾ دون (ثَبتتْ):

استحقّوا الإبعادَ لاستكبارِهم عن بليغِ الآياتِ

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، عبَّر عن ثباتِ الكلمةِ عليهم بالفعلِ (حقّ) ولم يقلِ: (الّذينَ ثبتتْ)؛ للدَّلالةِ على أنَّ ثباتَ ذلك عليهم كان استحقاقًا، وليس إجبارًا وقهرًا، ولا ظلمًا وقسرًا.

التَّعبيُر بالفعلِ ﴿حَقَّتْ﴾ ماضيًا:

انتفاءُ إيمانِهم مقطوعٌ بـه، لا رجعةَ عنه

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وفيه عبَّر بالفعل الماضي الدّالِّ على تحقُّق الفعلِ، وتأكيدِ حدوثِه تعبيرًا عن وقوعِ كفرِهم، وثباتِه فيهم.

بلاغةُ الاستعلاءِ المجازيِّ في: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾:

تمكُّنُ الاستحقاقِ منهم يُفْصِحُ عنْ شدَّةِ عتوِّهم

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾، عبَّر بليغُ النَّظمِ الجليلِ بحرف الاستعلاءِ (على)، مستعملًا إيّاه "للاستعلاء المجازيِّ، وهو تمكُّنُ الفعلِ الذي تعلَّقتْ به"[3]، فثبوتُ الكلمةِ بحيث إنَّه مسلَّطٌ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3634 - 3635.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/287.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/287.

عليهم لا يزولُ، فالاستحقاقُ راسخٌ ومقطوعٌ به عليهم، وهذا يُفْصِحُ عن شدَّة عتوِّهم وتمسُّكِهم بما همْ عليه من الضَّلالِ.

سرُّ تعريفِ الكلمةِ بالإضافةِ:

إضافةُ الكلمةِ يشيرُ إلى انتفاءِ التَّبديلِ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أضاف النَّظمُ المعجزُ لفظَ الكلمةِ إلى الله تعالى دلالةً على إنجازِ ذلك الاستحقاقِ وثباتِه؛ لأنَّ كلمةَ الله تعالى لا يشوبُها التَّغييرُ مصداقًا لقولِه تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29].

إيثارُ لفظِ الرُّبوبيَّة في: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾:

عذابُ الكافرين إحسانٌ إلهيٌّ للمؤمنين

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أضاف النَّظمُ الكلمةَ إلى لفظِ الرُّبوبيَّةِ "المفهِمِ للإحسانِ؛ إعلامًا بأنَّه ما أوجبَ عليهم العذابَ إلّا إحسانًا إليه بما يُقاسي من معالجتِهم، وغيرَ ذلك من الحكمةِ"[1].

نسبةُ لفظِ الرَّبِّ إلى ضميرِ المخاطَبِ:

التَّذكيرُ بسابقِ الإحسانِ، تأكيدٌ بدوامِ الاهتمامِ

قوله عزَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أضاف لفظَ الرُّبوبيَّةِ إلى الضَّميرِ العائدِ على النَّبيِّ ﷺ؛ إشارةً إلى أنَّ ذلك الجزاءَ الذي كتبَه لهم لم يكنْ إلّا إحسانًا إليك؛ لما تُقاسي من عُتوِّهم، أي: إنَّ ذلك من الذي سبقَ إليك منه الإحسانُ[2]، فلفظُ الرُّبوبيَّةِ أنسبُ للسّياق المتضمِّن إشاراتِ الإحسانِ.

دلالةُ تركيبِ: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾:

كلامُ اللهِ وإخبارُه بسوءِ مآلِهم، وما يصيرون إليه

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يدلُّ التَّركيبُ: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ على استحقاقِهم النّارَ، والكلمةُ هي حكمُه وقضاؤه بأنَّهم يموتون على الكفرِ، ويُخَلَّدون في النّار كقولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾، فالمرادُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/207.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/207.

منها كَلِمُ اللّه بذلك، وإخبارُه عنه[1]. وفي هذا التَّركيبِ تحذيرٌ "وإعلامٌ بسوءِ حالِ هؤلاء المحتومِ عليهم، والمعنى: أنَّ اللّه أوجبَ لهم سخطَه في الأزلِ، وخلقَهم لعذابِه، فلا يؤمنون، ولو جاءَهم كلُّ بيانٍ، وكلُّ وضوحٍ إلّا في الوقتِ الذي لا ينفعُهم فيه إيمانٌ، كما صنع فرعونُ وأشباهُه من الخلقِ، وذلك وقتَ المعاينةِ"[2].

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾:

يدلُّ قولُه: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ على أنَّ "عدمَ إيمان هذا الفريقِ إلى حينِ وقوعِ اليأسِ وموتِهم على الكفرِ مكتوبٌ عند اللّه، وثبت عليهم قولُه في الأزلِ بما يجري عليهم، لكنَّها كتابةُ معلومٍ لا كتابةُ مقدَّرٍ ومرادٍ"[3]، فالعبارةُ كنايةٌ عن القضاءِ والحكمِ الأزليِّ بالشَّقاوةِ.

كلمتُه تعالى حكمةٌ، وإرادتُه كنايةٌ عن القضاء الأزليّ بالشَّقاوةِ

دلالةُ نفي الفعلِ المضارعِ في: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن انتفاء إيمانِهم بإدخالِ لا النّافيةِ على الفعل المضارعِ للدَّلالةِ على انتفاء قَبولِهم تجدُّدَ الإيمانِ[4]، فهم قد يؤمنون، ولكن ليس إيمانًا دائمًا، فهم لا يؤمنون "إيمانًا نافعًا واقعًا في أوانِه، فيندرجُ فيهم المؤمنون عند معاينةِ العذابِ مثلَ فرعونَ"[5]. ويدلُّ المضارعُ على استمرارِهم بالكفر، وأنَّ "الإيمانَ ليس من شأنِهم، وأنَّهم لا يُذعنون، وليس من طبعِهم أنْ يؤمنوا بشيءٍ، بل الجحودُ شأنُهم"[6].

انتفاءُ قبولِهم لتجديدِ الإيمانِ، لا إظهارِ الإيمانِ وادِّعائِه

(1) حقّي، روح البيان: 4/81، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/107.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/143.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/613، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/179.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/207.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/176.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3634 - 3635.

سرُّ حذفِ متعلَّقِ الإيمان في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

نـفـيُ مـطـلـقِ إيـمـانِـهـم، بـأيِّ لـون مـن ألـوان الإيمان

في قولِه عزَّ ذكرُه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نفى متعلَّقَ الإيمان؛ ليعمَّ نفيُ إيمانِهم، واستغراقه لكلِّ متعلَّق من الإيمانِ باللّه، ورسلِه، وآياتِه المنزَّلةِ عليهم، وغيرِ ذلك، وذلكم أدْعى للذَّمِّ، وأقوى في التَّعبيرِ عن الإنكارِ والجحودِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»